

أساطير وحكايات

# "غندور والطائر المسحور"

دار القلم

بيروت - لبنان

أساطير وحكايات

# غندور والطائر المسحور

تأليف : محمّد عبد الحميد الطرزي



دار القلم
بيروت - لبنان

مات عن غندور والده بعد مرور عام واحد على رحيل أمه إلى بارئها وفجأة وجد نفسه وحيداً لا قريب له ولا صديق من ذلك المسكن المتواضع بما فيه من متاع قليل.

فكر غندور طويلاً في أمر نفسه وكيف يعيش ويكسب رزقه؟.. فكر طويلاً ووجد أنه لا يحسن عملاً يمكن أن يعوّل عليه وتذكر الشراك



والفخاخ التي خلفها له والده والتي كثيراً ما ساعده على توزيعها في أماكن متعددة بالغابة ليعود أليها في اليوم التالي ويجمع ما سقط فيها من أرانب سمينة أو طيور شهية.. كان والده يقوم بهذا العمل فيحتفظ بجزء منه لطعامهم ويحمل الباقي إلى المدينة ليبيعه ويشتري بثمنها ما يلزم المنزل من مؤ ن وثياب.. لماذا لا يمارس هذا العمل كوالده؟. سيغنيه عن السؤ ال ويشبع جوعه حتى يحصل على عمل سواه..

وأصلح غندور ما كان في حاجة للإصلاح من الشباك والفخاخ وأعدها ليخرج بها في الصباح..

ونام ليلته بعمق وقد زاوله ذلك القلق الذي لازمه أثناء تفكيره في أمر حياته ومعيشته.

ومع صياح الديك إستيقظ واغتسل ثم توضأ وصلى وردد الدعاء الذي لم يغفله أبداً لوالديه يطلب لهما الرحمة من رب العالمين.

وحمل حمله الثقيل وخرج إلى الغابة وسلك ذات الدرب الذي كان يسلكه مع والده ثم بدأ يخفي الفخاخ بمهارة ودراية ويثبتها جيداً بالأرض حتى إنتهى منها ثم بدأ في نصب الشباك بخبرة ودراية وإستغرق منه العمل اليوم كله فقد وصل إلى مسكنه وقد أرخى الليل سدوله..

كان قد اقتطف بعض الفاكهة البرية قام بغسلها وأكلها حامداً ربه على ما رزقه به في يومه ثم أوى إلى فراشه ونام..

وكما فعل بالأمس نهض مبكراً وذهب إلى الغابة وبدأ بالفخاخ ووجد أن أغلبها عامر بما سقط فيه.. وكانت حصيلة الفخاخ مشجعة فقد جمع منها ستة أرانب وغزالة صغيرة وأربعة ثعالب غزيرة الشعر..

وضع صيده في غدارة وقام بذبح الثعالب وسلخها ببراعة ثم بدأ في



جمع الطيور التي سقطت في الشباك وكانت مختلفة متعددة الأنواع وكثيرة العدد . .

حمل كل شيء وأعد الفخاخ والشباك من جديد وعاد إلى المسكن . . وكما كان يفعل والده شد جلود الثعالب على ألواح خشبية وفروها من ناحية اللوح الخشبي لتظل مشدودة ثم بحث عن ذلك المسحوق الذي كان يستعمله والده، حتى عثر على برميل صغير ممتلىء حتى حافته فحمل منه قدراً كافياً ورشه على الجلد وأغلق الباب بعناية وعاد إلى المسكن . .

وفي قفص كبير وضع الطيور وقام إلى الغزالة وكانت بالرغم من صغر سنها مكتنزة بالشحم واللحم وذبحها ثم نظفها جيداً وأشعل النار وشرع في طهوها وجعل منها قديداً حفظه في وعاء نظيف وقدّد له شهراً كاملاً يأكل منه يومياً حتى ينتهي . .

وفي صباح اليوم التالي حمل الأرانب والطيور وذهب إلى سوق المدينة حيث باعها بسعر طيب وأوصاه التاجر على المزيد واشترى من المدينة ما ينقصه وعاد إلى المسكن سعيداً وفي جيبه ثلاثة دنانير حفر في أرض المسكن ودفنها ثم انطلق إلى الغابة ليعود بالصيد الجديد . .

ومرت شهور على غندور في هذا العمل وأستطاع أن يصلح من شأن مفروشات المسكن الصغير واشترى من الأغطية الصوفية ما يقيه شر البرد الذي أصبح وشيكاً . .

وجلس في المساء يحصي ما جمعه فوجده يزيد عن المائة دينار فكاد يطير فرحاً وفكر في كيف يستغل هذا المبلغ بدلاً من دفنه في باطن الأرض؟ وداعب خياله ما يدور في فكر كل شاب . . لماذا لا يتم دينه ويدفع هذه الدنانير مهراً لزوجة صالحة تتولى عنه ما يعانيه من أعمال المنزل؟

وارتاح إلى هذا ونهض لينام وأطفأ المصباح ورقد في الفراش الوثير الذي إشتراه حديثاً وأغمض عينيه وسبح خياله بعيداً متصوراً شكل هذه الزوجة التي لا يعرف من أين سيأتي بها..

وخرج في الصباح وكان الصيد وفيراً خاصة من الثعالب التي إزدحم بجلودها الثمينة مخزنة وعاد بالصيد إلى المسكن وعقله يفكر في أمر الزوجة وكيف يحصل عليها..



وفي الصباح وكعادته كل يوم جمعة جمع صحبة من الزهور وذهب لزيارة قبر والديه. . نثر عليه ما يحمل من زهور وقرأ لهما الفاتحة وبعض الآيات من القرآن الكريم ثم عاد أدراجه ليبدأ عمله اليومي. .

ولما عاد بصيده من الغابة شاهد جواداً يقف أمام باب المسكن فأدهشه الأمر وجد في السير حتى وصل إلى حيث ربط الجواد من مقودّه ولاحظ أن الباب مفتوح وكان قد تركه مغلقاً قبل ذهابه إلى الغابة.

ذهب غندور بما يحمل إلى مخزن الفراء ووضعه هناك ثم عاد إلى المسكن وفتح الباب ودخل فوجد رجلاً ضخماً بلحية كثة وشوارب ضخمة يجلس إلى المائدة وهو يلتهم الطعام بشراهة. .

وقف جامداً ينظر إلى الرجل بدهشة ثم قال:

ـ من أنت. ؟ وكيف دخلت إلى هنا!.

لم يكف الرجل عن الأكل وأجابه:

ـ المهم أنني هنا كما ترى فما أهمية كيفية دخولي. .

إستشاط غندور غضباً وقال:

ـ ولكن هذا منزلي ومن حقي أن أعرف. . من سمح لك بالدخول إلى هنا والتهام طعامي؟



ألقى الرجل ما كان يحمله من بقايا الأرنب الذي أعده غندور للعشاء ووقف فإذا هو عملاق مخيف وقال:

- هيا.. إليّ بما استحق عليك لعملك من ضرائب..

بهت غندور وقال:

- ماذا تقول؟ أي ضريبة هذه.؟

أجابه الرجل وهو يتجشأ بصوت كخوار الثور:

- ضريبة أصدرها الملك بالأمس.. كل ما في الغابة من حيوان وطير هي ملك للملك ومن يصطاد هذه الحيوانات وتلك الطيور عليه أن يدفع بنصفها أو ثمنه إلى خزانة الملك..

قال غندور:

- تقول أن القانون صدر بالأمس؟

هز الرجل رأسه الضخم وقال:

- نعم..

سأله غندور:

- إذن كيف تأتي اليوم لتطالبني بالضريبة؟

تقدم منه الرجل ووضع يده الثقيلة على كتف غندور فأحس وكأنه ثقلاً قد سقط على كتفه وقال:

- لقد أطلت النقاش أيها الفتى ولا وقت عندي للجدل. المطلوب منك لخزانة الملك مائة دينار ذهبي وعشرون غزالاً ومائة أرنب ومثلها من البط السمين.

كاد غندور أن يفقد عقله فصرخ:

ـ هذه سرقة.. نهب.. من أين آتيكم بهذا الذي تطلبوه..

أجابه الرجل مهدداً:.

ـ أتتهم الملك بالسرقة أيها الفتى.. إذن هيا أمامي إليه لتعيد قولك هذا على مسامعه..

قال غندور الذي أعماه الغضب:

ـ سأذهب معك فأنا لا أخافك ولا أخف هذا الظالم..

ودفع بيد الرجل عن كتفه وخرج مرفوع الرأس ووقف في إنتظار خروج الرجل.. وليته ما فعل فقد شاهد النيران فجأة تلتهب في كل مكان بالكوخ دخل كالمجنون ولكنه صدم بالرجل يقف أمامه كالشيطان ويتجه نحو الباب بخطوات بطيئة ويقول:

ـ هذه هي الخطوة الأولى من العقاب.. والآن أمامي..



ودون تردد إنطلق غندور يعدو بكل قواه نحو الغابة فقفز الرجل على ظهر جواده وإنطلق خلفه ولكنه لم يلحق به فقد عرف غندور الخبير بمسالك الغابة ودروبها الضيقة كيف يختفي منه في مكان لا يمكنه الوصول إليه ولو شاء فعليه أن يتخلى عن جواده ويزحف على ركبتيه. .

وقف الرجل برهة مفكراً ثم إمتطى جواده وانصرف وهو يهدد ويتوعد. .

* * *

إختار غندور لنفسه مكاناً إلى جوار إحدى شباك الصيد وأخذ يبكي من شدة القهر. . أهكذا يفقده الظلم كل شيء بناه في لحظة؟ إلى متى يظل هذا الظلم قائماً يستولي هذا الملك الفاجر على أرزاقهم يبعثرها على خمره ومجونه؟

وأقسم غندور أن ينتقم ولو دفع حياته ثمناً لهذا الإنتقام. . منذ الآن لن يقيم إلا في الغابة. . فيها سيأكل وينام ومن رزقها سيعيش والويل لمن يحاول إزعاجه من رجل هذا الظالم. .

ولما هدأت نفسه بعض الشيء نهض يفتش في الفخاخ عن صيد يأكله بعد أن ذهب الليلة الماضية بما في المخزن من فراء طعاماً لنيران الظلم. .

مرّ على الفخاخ جميعاً فلم يجد بها صيد فإزداد سخطه واتجه نحو الشباك فوجدها بدورها فارغة إلا واحدة منها وجد بداخلها عصفوراً صغيراً يلهث رعباً وينظر إليه بخوف ورجاء. .

أمسكه غندور وخلصه من الشبكة وقال:

- إذهب يا مسكين فلن أكون ظالماً فأحرمك الحياة.



طار العصفور ووقف على غصن قريب وانطلق ينشد بصوت جميل فنظر إليه غندور باسماً وقال:

ـ شكراً لله يا صديقي.. إنك تعبِّر لي عن شكرك بهذا التغريد الجميل. إذهب الآن إلى عشك قبل أن يدهمك الليل ويخرج البوم من أوكاره..

طار العصفور وحط على كتف غندور الذي دهش لجرأته ولم يسعه طرده فسار به يحمله إلى ذلك الكوخ الذي أنشأه منذ وقت طويل في أعلى شجرة ليلوذ به ليلاً إذا ما دهمه الليل وهو في الغابة إتقاءاً لخطر الوحوش. قرر غندور أن يجعله مكان سكناه الدائم وليبدأ من جديد.. وفكر عندما إحتواه الكوخ المعلق في واقعه ولم يسعه إلا أن يبكي قهراً.. ولكنه شعر بالعصفور يحط على ركبته وينظر إليه ويطلق صوتاً خافتاً حزيناً..

نظر إليه غندور وإبتسم إبتسامة شاحبة حزينة وقال له:

ـ لقد أخطأت إختيار الصديق يا مسكين.. أحرى بك أن تكون في قفص جميل بقصر الملك.. هناك يمكنك أن تغن وتنعم بالحياة الرغدة..

ولكن العصفور هز رأسه بعنف وهو يطلق صفيراً غاضباً دهش له غندور وتنبه إلى حقيقة فائتة.. إن هذا العصفور العجيب يفهم ما يقول ويجيبه على قوله بطريقته الخاصة.. وأراد أن يتأكد فسأله:

ـ هل تفهم ما أقول؟

هز العصفور رأسه إيجاباً فإزدادت دهشة غندور

ـ ولكنك عصفور فكيف تفهم كلامي؟

هز العصفور رأسه نفياً

ظهر الخوف على وجه غندور

ـ لست عصفوراً؟ إذن ماذا تكون.. هل أنت عفريت؟

هز العصفور رأسه نفياً بعنف فإستبدت الحيرة بغندور وسأله:

ـ إذن ماذا تكون؟ إنسان وسحروك عصفوراً؟

هز العصفور رأسه إيجاباً عدة مرات فكاد غندور أن يفقد عقله وسأله بإهتمام

ـ ومن الذي سحرك يا مسكين.. أولاً هل أنت ذكر أم أنثى؟

تمايل العصفور بدلال فقال غندور باسماً:

ـ أنثى أليس كذلك؟

هز العصفور رأسه إيجاباً فقال غندور

ـ وكيف أعرف قصتك حتى أساعدك..

طار العصفور وتطلع خارج الكوخ بحذر ثم عاد إليه وحط على كتفه ثم أطلق صوتاً خافتاً في أذنه..

أدرك غندور أنه يحذره من شيء رآه تطلع في مكانة إلى أسفل الشجرة فشاهد عجوز بشعة الصورة ويسير إلى جوارها شاب قبيح الصورة عرف فيه غندور الملك الظالم فأدهشه الأمر..

سمع الملك يقول:

ـ أين إختفت إذن؟

أجابته العجوز:

إنها في مكان ما هنا ولكن ما الذي يقلقك بشأنها..

أجابه بخوف



ـ ماذا لو طارت إلى مكان فيه ساحرة فتعيدها إلى صورتها وتظهر الأميرة إلى الوجود؟ سيعاقبني عمي أشد عقاب فإنه يظن أنها ماتت وما توليت العرش إلا لأنها كانت زوجتي المنتظرة..

كان غندور يسمع الحديث مشدوهاً وتقلصت أصابعه بعنف إنها الفرصة الذهبية التي ينتقم فيها من هذا الملك الشرير وينقذ بها الأميرة المسكينة..

وزحف ببطء حتى أصبح فوقهما تماماً ثم سقط عليهما وكل يدعلى رأس واحد منهما ثم ضربهما ببعض بقوة فسقطا على الأرض.. أسرع يقيد الملك بسرعة ثم إستل خنجره وألقى العجوز الساحرة على ظهرها وانتظر حتى إستفاقت من إغشائها فإذا بالخنجر في عنقها وهو رابض على صدرها..

قالت برعب

ـ من أنت أيها الشاب.. حرام عليك.. أنا عجوز فقيرة..

أجابها غندور وهو يضغط على الخنجر قليلاً

ـ لن أكرر ما سأقول.. إذا لم تفكي سحر الأميرة فوراً قتلتك في الحال..

إرتعدت فرائص الساحرة وقالت:

وكيف أفك سحرها وأنا مقيدة هكذا.. حل وثاقي حتى أتمكن من ذلك..

طار العصفور وحط على رأس الساحرة وهز رأسه محذراً عدة مرات فأدرك غندور أن الساحرة تخدعه فضغط على الخنجر وسالت من عنقها نقطة دم فصرخت صرخة مدوية وإنتفضت بشدة ثم همدت حركتها وغندور ينظر إليها بذهول وقال بحسرة:

ـ يا إلهي ماتت وسرها معها. . كيف أساعدك الآن أيتها الأميرة. .

سمع صوتاً رقيقاً يقول:

ـ لقد خلصتني وقضي الأمر. .

تطلع مذهولاً فإذا أمامه فتاة بديعة الحسن والجمال تنظر إليه وتمد له يدها وتضغطها معبرة عن شكرها وقالت:

ـ ما إسمك أيها الشاب النبيل. .

أجابها بإحترام

ـ إسميّ غندور يا مولاتي. .

قالت مشيرة على الملك المقيد:

ـ غندور إحمل هذا الخائن إلى كوخك في أعلى الشجرة وهيا بنا من هنا. .

حمل غندور الملك الذي إستيقظ من غشيته وشاهد الأميرة فكاد يموت من شدة الرعب. .

قالت له بإزدراء:

ـ أيها الجبان ستدفع ثمن غدرك وخيانتك. . ستدفع لهذا الشعب الطيب المسكين ثمن ما سببته له من ألآم.

والتفتت إلى غندور وقالت:

ـ إنه يترك جواده في مكان أعرفه كلما جاء إلى اللعينة فهيا بنا إلى هناك. .

ووجد الجواد حيث قالت فالتفتت إليه وقالت:

ـ إركب وأردفني خلفك فأمامنا سفر طويل. .



وإنطلق بهما الجواد الأصيل ينهب الأرض حتى إنبلج نور الصباح فشاهد غندور على البعد مدينة عظيمة فقال يسألها:

ـ أتقصدين هذه المدينة يا مولاتي..

أجابته:

ـ نعم.. أسرع يا غندور..

وكانت مفاجأة مذهلة أحالت الحزن الذي شمل قصر الملك ولفه في السواد.. وبعد أن قصت القصة كاملة على والدها إستشاط غضباً وأمر بالجيش ليستعد وخرج على رأسه إلى المدينة بعد أن حمل غندور الملك مقيداً أمامه على الجواد الذي أمر به الملك ليراه الناس..



وعاد العدل إلى نصابه وغندور في القصر ينزل من أهله منزلة الصديق الغالي..

ودخل ذات صباح على الأميرة وانحنى أمامها بإحترام وقال:

ـ هل تسمح لي مولاتي بالعودة إلى مسكني..

كان الملك يصغي بإنتباه للحديث عندما أجابته الأميرة:

ـ وهل أبقى لك السفاح على بيت تقصده أم ترى هل مللت عشرتنا وستعود إلى كوخك المعلق..

أطرق غندور إلى الأرض وقال:

ـ سيكون مسكني مدى الحياة يا مولاتي فيكفي أنه إحتواك عصفور حنون عطف عليَّ عندما تخلت عني الدنيا بأسرها..

إبتسم الملك وقال:

ـ غندور، ما رأيك.. سأنقل لك هذا الكوخ إلى هنا لتزوره أنت وعروسك كلما دفعكما الحنين إليه..

نظرت إليه الأميرة بحب وحنان وقالت:

ـ بماذا يأمرني سيدي ومليكي..

**تمت**

صدر من أساطير وحكايات

- مالك الحزين والبلبل المسكين
- زارع الشر يحصده
- الراعي العجوز والملكة نفوس
- الأصيل والخسيس
- معروف وشقيقه متلوف
- مرآة الساحرة
- تاجر الكلام وابنة الإمام
- بئر الأماني
- العفريت الأعمى
- نصيحة الديك
- بدور والكلب الأعرج
- غندور والطائر المسحور
- قاطش وباطش وظاطش
- العفريت باطش والسلطان قادش
- الشحاذ والعفريت ظاطش
- زهران والمارد الغضبان
- يا ليل يا عين
- ملك الجان والعراف
- وهمان الجن صديق الانسان
- العصفور الأزرق واليتيم

تصدر عن دار القلم - بيروت - لبنان - ص. ب: ٣٨٧٤ - تلكس: ٤٢٣٨٩ - برقياً: قلمطاب - هاتف: ٢٧٢٠٢٠

الثمن: [redacted] ليرات لبنانية أو ما يعادلها